المصادر الغربية لتاريخ المغرب في العصر الحديث

الأستاذ: الشيخ لكحل

جامعة غرداية ، الجزائر

الملخّص:

يتناول هذا البحث تعريفاً بأهم المصادر الغربية لتاريخ المغرب الأقصى خلال أربعة قرون من العصر الحديث؛ أي من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، ويقارن بين توجهات أصحاب هذه المصادر ونظرتهم لتاريخ المغرب، خلال هذه الفترة. كما يعطينا نماذجَ من هذه الكتابات ونقداً لبعض منها، خلال مختلف قرون العصر الحديث.

Résumé:

Cette recherche porte sur la définition des sources occidentales les plus importants pour l'histoire du Maroc durant les quatre siècles de l'ère moderne, tout du XVIe siècle jusqu'au XIXe siècle, et compare les orientations des propriétaires de ces sources et leur vision de l'histoire du Maroc, au cours de cette période. Elle nous donne également un échantillon de ces écrits et des importants critique pour certains d'entre eux, à travers les différents siècles de l'ère moderne.

مقدّمة:

إنّ الباحث في تاريخ المغرب الأقصى في العصر الحديث يلاحظ أنه يحظى بكم وافر من المصادر المحلية تفوق تلك التي كانت من نصيب الجزائر أو حتى تونس، ويبدو أنّ ذلك يعود إلى الظروف السياسية التي مر بها هذا البلد في العصر الحديث والتي تختلف تماما عن تلك التي كانت في بقية بلدان المغرب. ورغم أنه لم يدخل تحت العباءة العثمانية، إلا أنّ علاقاتِه مع الدول الأوربية لم تتميز كثيرا عن بقية جيرانه؛ فقد كان في أتون الصراع المرير بين الدول المغاربية ودول غرب أوربا المسيحية. ورغم كل ذلك، فقد كتب عن المغرب الكثيرُ من الأوربيين سواء كانوا تجارا، ديبلوماسيين، رحالة، أو حتى أسرى.

ولهذا، فإنّ المصادرَ الغربية تُعتبر من الوثائق التي لا بد من العودة إليها لكتابة تاريخ المغرب الحديث؛ ذلك أن كتابها عرفوا المنطقة وكتبوا عنها وتطرقوا إلى الكثير من النقاط التي لم يكتب عنها المؤرخون المحليون، ولكن رغم أهميتها إلا أن لها حدوداً لا يمكن تجاوزها لأن لكل عصر ظروف والتزام.

المميزات العامة للكتابات التاريخية في الفترة الحديثة:

إنّ الذين كتبوا في هذه الفترة كانوا جلهم رهبانا أو أسرى أو تجارا لم تخرج كتاباتهم عن مضمون الأدب الملتزم [(1)].

كما كانت كتاباتهم تحمل العداء الشديد للمغرب، ورغم هذا فإننا نعتبرها مفيدة جدا؛ ذلك أنها كانت تسلط الضوءَ على نقاط لا نجدها في المصادر المحلية، كروض القرطاس لابن أبي زرع، أو مناهل الفشتالي، أو تاريخ الدولة السعدية التكمادرتية. ومع ذلك، فقد كانت هذه المصادر تدعو بشكل صريح إلى محاولة القضاء على نشاط البحارة المغاربة، وإنّ المتصفحَ لهذه المصادر يجد أنّ كتابها يحملون نظرة مسبقة سلبية عن المغرب لا تخلو من التعصب الديني، والنظرة اللاموضوعية إلى القضايا المطروحة.

ويبدو أنَّ أغلبَ مؤلفي تلك الكتب اتخذوا لها عناوينَ توهم أنها تتضمن عروضا لأطوار تاريخ المغرب، ولاشك أنّ طائفةً منهم استقَوا، خلال مدة إقامتهم بالمغرب، معلوماتهم التاريخية عن المغرب، إما بطريقِ السماع المباشر للشهادات والروايات الشعبية، وإما بنقل ما ورد في كتب من تقدمهم من الغربيين، ولم يشر أي منهم بأنه استفاد من مصادرَ محلية [2].

بيد أنّ محتوى تلك المؤلفات ينمّ عن جهد كبير بذله هؤلاء، حيث لا يزال البعضُ منها يُعدّ من المصادر المهمة لكل من يبحث في تاريخ المغرب.

أولاً: الكتابات خلال القرن السادس عشر

امتازت فترة القرن السادس عشر بالصراع بين الإسلام والقوى المسيحية، وبالمواجهة بين دول المغرب ودول أوروبا المسيحية، كما امتازت هذه المرحلة بظهور التيار الديني المتعصب والذي أثّر على إيديولوجيات الأدب والكتابة التاريخية الغربية عموما.

إضافةً إلى أنّ الإيديولوجيات التي ظهرت استمدت جذورها من الأحداث الصاخبة في الصراع بين الإسلام والمسيحية. فظهر الالتزام بضرورة مواجهة أوروبا للغزاة المغاربة، والقضاء على خطر الإسلام على المسيحية. ومن أشهر من عُرفوا في هذه الفترة:

1. **ليون يوحنا الإفريقي**(Leon Jean Africain)

يُعرف بحسن الوزان، ولد بغرناطة سنة1483م، وتوفي بتونس سنة1552م. هو رحالة مغربي، بدأ رحلاته إلى بقاع العالم مبكرا، حيث زار مع عمه تمبكتو سنة 1500م، ثم قام بجولة في إفريقيا جنوب الصحراء، شمال إفريقيا، القسطنطينية، مصر ، وبلاد الشام، ووصل حتى آسيا الصغرى. وفي طريق عودته من مصر، سنة 1517م، قام قراصنة البندقية بأسره، قبالة سواحل طرابلس. وقدموه إلى البابا ليو العاشر(Lyon X)، الذي قام بتعميده، وسماه باسمه. اشتغل خلال مدة مكوثه في روما التي تجاوزت العشرين سنة، بتدريس اللغة العربية.

حيث قام بإكمال كتاب **وصف إفريقيا** باللغة العربية، ثم قام بترجمته إلى اللغة الإيطالية، سنة 1525م [3].

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى مختلف اللغات الأوربية، وأضحى مرجعا لكل من تحدث عن إفريقيا مثل مرمول، دابير، هارتمان، برونتز، وغيرهم [4].

وقد خصص جزءاً مهما من هذا الكتاب للممالك التي تعاقبت على حكم مراكش وفاس [5].

2.مرمول كربخال (Marmol de Caravajal)

رحالة ومؤرخ اسباني، ولد في غرناطة، سنة 1520م [6]، وعاش خلال القرن السادس عشر. رافق حملة شارلكان على تونس سنة1536م، وتنقل في كامل مناطق شمال إفريقيا، ويبدو أنّ جولاته هذه كانت محل ريب وشك، إذ أسره المغاربة في عهد السلطان السعدي محمد الشيخ، متهمين إياه بالتجسس، فمكث أسيرا في المغرب حوالي ثماني سنوات [7]. يُعد كتابه **إفريقيا** من أهم المصادر عن المغرب خلال القرن السادس عشر، رغم أنه اقتبس الكثير من كتاب ليون الإفريقي. طبع هذا الكتاب أول مرة سنة 1573م بغرناطة، ثم أعيد طبعه سنة1599م بمالقةMalaga) [8].

3.دييقو دي طوريس (Diego de Torres)

مؤرخ اسباني، ولد سنة 1526م، ذهب إلى المغرب سنة1546م، حيث استقبله السلطان محمد الشيخ السعدي. مكث بالمغرب حوالي ثلاثين سنة [9]، له كتاب **تاريخ الشرفاء**. نشر بعد وفاته، من طرف أرملته، سنة 1586م [10] ترجم إلى الفرنسية سنة1636م. يتضمن بالأخص تاريخ السعديين من 1502م إلى غاية سنة 1574م [11].

4.تيفيت أندري (Thevet André):

رحالة فرنسي ورجل دين كالفيني، ولد سنة1502م، توفي سنة1590م. قام بجولة في أوربا حيث زار إيطاليا واليونان، كما شملت جولته إلى المشرق كلا من

القسطنطينية والأراضي المقدسة، و كذلك شمال إفريقيا. و وصل حتى البرازيل. عين سنة1558م كاهنا لدى الملكة الفرنسية كترين دي ميديسيس (Catherine de Médicis)، ومؤرخا لدى الملك فرانسوا الأول(François I) [12].

ترك عدة مؤلفات منها:

- ✓ **وصف عام للعالم.**
- ✓ **وصف عام للشرق .**
- ✓ **الخصائص الطبيعية لفرنسا مقارنة بما يسمى بأمريكا والأراضي والجزر المكتشفة في عصرنا.**

وفي هذا الكتاب الذي طبع في باريس سنة 1558م، يتحدث فيه عن ما تتميز به فرنسا عن مختلف المناطق التي زارها، ومنها المغرب [13].

5.ديبقو دي هايدو (Diego de Haëdo)

مؤرخ ورجل دين اسباني، توفي في بداية القرن السابع عشر [14].

كان أسيرا في الجزائر في الفترة من 1578-1581م، وبعد عودته من الأسر عُين أسقفا لمدينة فروميستا(Fromesta) [15].

كتب **طوبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر** سنة 1605م، الذي قام بربريغر(Berbrugger) ومونورو (Monerault) بترجمته، ونشراه في المجلة الإفريقية ابتداء من سنة 1870م، كما ألّف كتاب **تاريخ ملوك الجزائر**، والذي ترجمه إلى الفرنسية دوغرامون(De Grammont) ونشره في المجلة الإفريقية سنة 1880م.

ورغم أننا لا نملك ما يثبت دخول هايدو المغرب، إلا أنّ كتابَه الأخير، **تاريخ ملوك الجزائر**، يتضمن كثيرا من الأحداث التي عرفها المغرب خلال هذه الفترة، خاصة فيما يتعلق بالعلاقات البينية بين الجزائر والمغرب، والحروب التي كانت بين الطرفين خلال القرن السادس عشر.

6.كوريون كوليوس (Curion Coelius)

أديب ايطالي ولد سنة1538م توفي في 24 أكتوبر 1567م، [16]. ه كتاب **تاريخ مملكة المغرب** [17].

7.بدرو دي سالازار(Pedro de Salazar)

كاتب و مؤرخ اسباني عاش خلال القرن السادس عشر (18) ألّف كتابَ **تاريخ الانتصارات الاسبانية**، صدر سنة 1570م، وهو يتضمن حروب الأسبان على السواحل المغربية بين سنتي1546-1565م، مع ملوك فاس وبادس [19].

8.كيبيدو فاسكو موسينو(Quevedo. Vasco-Mousinho)

شاعر برتغالي، ولد خلال القرن السادس عشر، وتوفي بعد سنة1627م [20].

كتب ملحمة الملك البرتغالي ألفونصو الخامس، في قصيدة شعرية سماها **ألفونصو الأفريقي**، حيث تحدث فيها عن انتصارات الملك البرتغالي في العريش وطنجة [21].

ثانياً: الكتابات خلال القرن السابع عشر

يبدو أنّ القرن السابع عشر لم يختلف عن سابقه في كونه قرنَ صراع بين المسيحية والإسلام، أو بين الضفتين الشمالية والجنوبية من الحوض الغربي للمتوسط. ولذلك فإنّ أغراضَ الكُتّاب الغربيين الذين كتبوا عن المغرب، في هذا القرن، لم تبتعد كثيرا عن الإطار الذي كتب فيه من سبقوهم من القرن السادس عشر. ومن بين كُتّاب هذا القرن نجد:

1. **أديسون لونصلو** (Addisson Lancelot)

قس إنجليزي، ولد سنة 1632م، توفي سنة1703م. ألّف كتابَ **بربارية الغربية**، وقد خصصه لتاريخ الثورات في ممالك فاس والمغرب [22].

2. **أرموند مصطفى** (Amand Mustapha)

رحالة تركي، أو كرغلي، من المغرب الأقصى [23]، ألّف كتاب **رحلات إفريقيا**، حيث تحدث فيه عن نشاط شركات الملاحة الفرنسية، على سواحل ممالك

المغرب بين سنتي 1629-1630م، وكذلك معاهدة السلام مع أهالي سلا. طبع في باريس سنة 1632م (24).

3. **غالونيي يوحنا** (Gallonyé Jean)

أصله من مدينة سيرفيان(Servian) على الساحل الفرنسي للمتوسط، عاش خلال القرن السابع عشر. وقع أسيرا في سلا في أكتوبر1670م، وأطلق سراحه في جويلية1674م، بعد عملية افتداء [25]. كتب مذكراته تحت عنوان **قصة أسير**، حيث تحدث فيه عن سنوات أسره الأربع في سلا، كما تحدث باختصار عن سلطان تافيلالت [26].

4.موييت جيرمان (Mouette.Germain)

رحالة فرنسي، ولد سنة 1652م، وتوفي سنة1691م. أثناءَ رحلته من فرنسا إلى جزر الأنتيل، قام القراصنة الجزائريون بأسره في عرض المحيط الأطلنطي، في أكتوبر 1670م، ثم قاموا ببيعه في سلا. مكث أسيرا في المغرب حوالي 11سنة، حيث تعلم العربية وتعرف على الكثير من عادات وتاريخ المغرب. إلى أن تم افتداؤه من طرف مؤسسات الفداء في 25 فيفري1681م [27].

كتب **مذكرات** لسنوات أسره في المغرب التي امتدت خلال حكم السلطانين مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل.كما ألّف كتاب **تاريخ غزوات مولاي الرشيد ومولاي اسماعيل**. الذي صدر في باريس سنة 1683م [28].

5.فرانسوا بيدو (François Pidou)

دبلوماسي فرنسي، ولد سنة 1646م، وتوفي يوم 27سبتمبر 1720م. كلفه الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، سنة 1693م، بمهمة إلى المغرب؛ وذلك بهدف عقد حلف مع السلطان مولاي إسماعيل، لكنه فشل في مهمته [29].ألّف كتاب **الوضع الحالي لإمبراطورية المغرب**. والذي يبدو أنه تقرير استخباراتي كتبه بيدو لاطلاع الملك الفرنسي على أوضاع المغرب الأقصى في تلك الفترة. وقد صدر في شكل كتاب في باريس سنة 1695م [30].

6.رولان فريجوس (Roland Fréjus)

تاجر مرسيلي، عاش خلال القرن السابع عشر. كلفه الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، بمهمة دبلوماسية إلى سلطان المغرب مولاي إدريس، بهدف إنشاء وكالات تجارية في المملكة. وقد ألف كتاب **قصة دويلات ملك فاس والمغرب** شرح فيه هذه المهمة، كما أنه ضمنه وصفا دقيقا لكل المراكز والتحصينات المتواجدة على سواحل المغرب الأقصى، والتي تعود إلى اسبانيا أو البرتغال، أو انجلترا، وكذلك تلك التي تعود إلى سلطان المغرب[31].

7.ويندوس جون (Windus John)

دبلوماسي انجليزي، كان يعمل موظفا في السفارة الانجليزية في فاس، له كتاب **رحلة مكناس** وهو يتحدث فيه عن إقامته لدى سلطان فاس والمغرب في مكناس سنة 1721م [32].

8.بيبس صامويل (Pepys Samuel)

سكريتير البحرية الانجليزية في لندن، عاش خلال القرن السابع عشر. له **مراسلات صامويل بيبيس**، حيث يتحدث فيها عن رحلته إلى طنجة[33].

9.بيتي دي لاكروا فرانسوا.(Petis de La Croix François) [34].

مستشرق فرنسي، ولد في باريس، سنة 1653م، وتوفي في 4ديسمبر1713م. أرسله كولبير(Colbert) إلى المشرق، سنة1670م، لتعلم اللغات الشرقية، العربية، التركية، الفارسية، وحتى الأرمينية. ومكث في استانبول أربع سنوات منذ 1676م، أين اكتسب خبرةً في العمل الدبلوماسي، من خلال عمله في القنصلية الفرنسية. عين سنة 1682م أمينَ الترجمة للغات الشرقية في قسم البحرية؛ حيث كان له دور في المفاوضات التي تمت بين فرنسا مع الباب العالي، أو مع دايات الجزائر، وملوك المغرب. وقد خلف أباه، سنة 1695م، في وظيفة أمانة الترجمة لدى الملك الفرنسي [35].

قام بترجمة عدة مؤلفات إلى اللغة الفرنسية، منها كتاب **ألف ليلة وليلة**، الذي ترجمه من الفارسية. وقد طبع الكثير من هذه الأعمال، إلا أنّ بعضها لم يطبع

بل ترك مخطوطا في الخزانة الملكية. ومن هذه الأعمال ترجمته لكتاب **روض القرطاس** لابن أبي زرع، حيث يذكر كاييه(Caillé)، أنّ بيتي هو أول من ترجم روض القرطاس إلى الفرنسية، إلا أنه لم يطبع، حيث وجده مخطوطا في المكتبة الوطنية الفرنسية، تحت رقم25.388 وبعنوان: **القرطاس، تاريخ فاس والمغرب**. وقد ابتدأ ترجمته في يوم 28نوفمبر1693م [36].

9.الراهب بييار دان (Pieres Dan)

هو رجل دين مسيحي فرنسي، عمل في لجان الافتداء بغرض افتداء الأسرى المسيحيين الموجودين في بلاد المغرب. وكانت أول مهمة قام بها إلى الجزائر، سنة 1634م، حيث تمكن من تحرير42 أسيرا.

وقد أصدر كتابه **تاريخ بربارية وقراصنتها**، سنة 1637م [37].

حيث تحدث فيه عن قراصنة سلا من حيث أصلهم وكذلك تاريخهم [38].

ثالثا: الكتابات خلال القرن الثامن عشر

امتاز القرن الثامن بظهور تيار فكري نادى برفض الذهنية الموروثة عن القرن السابع عشر, أي إعادة النظر في تقييم الغير، وكتابة التاريخ دون ذاتية وترك الأفكار المسبقة والعصبية الدينية.

ومن هذه هؤلاء الكتاب الذين تبنوا هذه الأفكار: لويس دو شونييه (Chenier Luis de)، وكذا لوجيي دي تاسي(Laugier de Tassy) الذي انطلق من فلسفة إنسانية تساوي بين البشرية في كامل العالم.

كما امتاز كُتاب هذه الفترة بتطور مستواهم الثقافي والفكري؛ فهم لم يعودوا أسرى فقط بل أصبحوا عملاء, رحالة, باحثين, مغامرين ومنهم الدبلوماسيين والبيولوجيين وكذا الوافدون إلى المغرب بمحض الإرادة؛ مثل الرحالة السويدي أكريل اولوف(Agrell Olof) والطبيب الانجليزي لومبيار جورج(Lampiére George).

وإن كانت آراء الكتاب الأوروبيين قد تغيرت نحو الاعتدال لدى بعض الذين ذكرنا إلا أنّ الذهنية الأوروبية مازالت راسخة عند الكثيرين. ومن مؤرخي هذا القرن نذكر:

1. **أكريل اولوف** (Agrell Olof)

رحالة سويدي، عاش خلال القرن الثامن عشر. كتب رحلته إلى المغرب تحت عنوان **الرحلة الجديدة إلى المغرب**. وقد ترجم هذا الكتاب من السويدية إلى الألمانية، سنة 1798م [39].

2. **بريث ويت** (Braith Waite Jean)

مؤرخ انجليزي، عاش خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر [40].له كتاب **تاريخ الثورات في إمبراطورية المغرب منذ وفاة السلطان مولاي إسماعيل**. حيث تحدث فيه عن الأحداث التي شهدها المغرب بين سنتي 1727م و1728م. وبما أنه كان مصاحبا للقنصل العام الانجليزي في المغرب، السيد يوحنا روسال(Jean Russel) فقد وثق تلك الأحداث بعدة شهادات[41].

3.بيسنوت دومينيك (Busnot Dominique)

مؤرخ فرنسي، كتب **تاريخ عهد السلطان مولاي إسماعيل**. وقد تحدث في هذا الكتاب، الذي صدر سنة 1714م، عن ثورات أبنائه، ونسوته[42].لكنه ركز على موضوع الأسرى المسيحيين في المغرب، ومجهودات مؤسسات الافتداء بين سنتي1704-1712م [43].

4.لويس دو شونييه (Louis de Chenier)

مؤرخ فرنسي، ولد سنة 1723م، وتوفي في 25ماي 1796م. زار عدةَ مناطقَ في الشرق منها استانبول والمغرب الأقصى؛ فقد ذهب، سنة1767م، رفقة الكونت دي برونيون(De Brugnon) في مهمة كلّفهم بها الملك الفرنسي لغرض عقد معاهدة مع سلطان المغرب محمد الخطيب العلوي، وبنجاحه في هذه المهمة، عين قنصلاً عاما لفرنسا في المغرب إلى غاية سنة1784م [44].

ألّف عدةَ كتب منها **تاريخ الثورات في الدولة العثمانية حتى وفاة السلطان عبد الحميد**. أما كتابه **أبحاث حول المغاربة وتاريخ إمبراطورية المغرب** الذي صدر سنة 1787م، فقد خصصه لدراسة تاريخ المغرب [45].

5.لوجيي دي تاسي(Laugier de Tassy)

رحالة فرنسي، ولد في النصف الثاني من القرن السابع عشر، كان منتدبا عدة سنوات في قنصلية فرنسا بالجزائر، ثم أرسل إلى هولندا بصفته محافظا للبحرية. وهناك ألّف كتابه الشهير **تاريخ مملكة الجزائر**، حيث نشر مرفقا بخارطة، في أمستردام، سنة 1725م [46].

لكنه ترجم إلى الانجليزية، في لندن سنة1750م، تحت عنوان **التاريخ الكامل لدول بربارية القُرصانية**. إلا أنّ بوير(Boyer de Prebandier) قام بترجمته إلى الفرنسية، سنة1757م، تحت عنوان **تاريخ دول بربارية التي تمتهن القرصنة**، ويقصد بدول بربارية، الجزائر، تونس، طرابلس، والمغرب [47].

6.فيلاسكيز دي فيلاسكو(Velasquez de Vélasco)

مؤرخ اسباني، وعضو في الأكاديمية التاريخية لمدريد، ولد في مالقا سنة 1722م، وتوفي سنة1772م.له كتاب **وصف ممالك تونس والمغرب** [48].

7.لومبيار جورج (Lampiére George)

طبيب في الجيش الانجليزي، عاش خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر. كتب رحلته التي قادته إلى المغرب سنتي 1790-1791م، تحت عنوان **رحلة داخل إمبراطورية المغرب وإمبراطورية فاس**. وقد تضمنت وصفاً دقيقاً لهذين البلدين، بالأخص لجبال الأطلس. كما تحدث في هذه الرحلة عن نظام الحكم و القوانين، والقوة العسكرية للمملكتين وكذلك للعادات والتقاليد، إضافة لتعرضه إلى أوضاع الأرقاء؛ كما عرج في هذا الكتاب على حريم السلطان وما كان يحدث داخل سراياه، بما أنه كان الوحيد الذي لديه الحق في الدخول إلى هذه الأماكن الخاصة، بسبب اشتغاله في تطبيب السلطان وحريمه [49].

8.أوكلي سيمون(Ockley Simon)

مستشرق انجليزي، ولد في أكسترا، سنة1678م، وتوفي سنة1720م. درس اللغة العربية في كلية كمبريدج، عين راعيا لسوافيس، سنة 1701م، ثم رئيسا لقساوستها، سنة1705م. قضى وقتا طويلا في دراسة المخطوطات العربية في المكتبة البودلية، منذ سنة 1706م، وسمي أستاذ كرسي للعربية في كمبريدج، سنة 1711م. وقد كُلف بترجمة الوثائق الرسمية الواردة من المغرب، سنة 1714م، بغرض عقد معاهدة بين بريطانيا والمغرب. وقد عقدت هذه المعاهدة في جويلية 1714(50).

وقد كتب مذكرات أسير انجليزي مكث طويلا في المغرب، تحت عنوان **أوضاع دول فاس والمغرب**. وقد صدر هذا الكتاب، في لندن، سنة 1713م [51].

رابعاً: الكتابات خلال القرن التاسع عشر[52]

إن أهم ما ميز كتابات القرن التاسع عشر هو:

- العودة إلى إيديولوجية القرن السابع عشر.
- كانت معظم تلك الكتابات من طرف ضباط وعسكريين.
- الكثير من تلك الكتابات تمثل مذكرات على شكل يوميات كتبها أصحابها، مثل البارون تايلور (Le Baron Taylor)، وغيره...

تطور نشاط المدارس الاستشراقية في أوربا، وتأسيس المدرسة التاريخية في الجزائر، ساهما بشكل كبير في تعدد وتنوع الدراسات التاريخية التي تهتم بالمغرب، خاصة اهتمام المؤرخين الغربيين بجمع ونشر التراث المغربي، مثل ما قام به هوداس، وطورنبرغ، ودوكاستري.

وهذا عرض تعريفي، لبعض هؤلاء المؤلفين، وأعمالهم:

1. إليت دي لابريمودي(Elit de La primaudaie)

مؤرخ فرنسي توفي سنة 1876م. قام بنشر كتابه **تجارة وبحرية الجزائر** في المجلة الجزائرية والاستعمارية(Revue Algérienne et Coloniale)، سنة 1860م [53].

ألّف أيضا كتاب **المدن البحرية للمغرب**.

2. **دريموند هاي**(Drummond-Hay.J)

رحالة انجليزي، قدم إلى طنجة في 15أوت1830م، لمهمة شراء بعض الأحصنة الأصيلة من المغرب لحساب الملكة البريطانية فكتوريا، أما سياسيا فقد كان غرضه إقناع سلطان المغرب لعقد حلف مع انجلترا. وقد اعتمد في كتابه **المغرب وقبائله البدوية**، على الروايات الشعبية [54].

3.نيف جون بابسيت (Neve.E.-J.-B)

مستشرق بلجيكي، ولد في 13جوان 1816م. تنقل إلى باريس لدراسة اللغات الشرقية، حيث تحصل على دكتوراه في الفلسفة و الآداب، سنة1838م. ثم عين، سنة 1844م، أستاذا ممتازا للآداب القديمة واللغات الشرقية، وقد عمل منذ 1860م مراسلا للأكاديمية الملكية البلجيكية. ألّف عدة كتب منها:

التاريخ العام للآداب الشرقية. وهي عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي كان يلقيها في جامعة لوفان[55].

قصة رحالة مسيحي في مدينة فاس ومدارسها في النصف الأول من القرن السادس عشر [56].

4. البارون تايلور سيرفيان (Le Baron Taylor Severin)

رحالة وأديب وفنان فرنسي، ولد في 15 أوت 1789م. ابتدأ رحلاته منذ سنة 1811م، حيث قام بزيارة معظم دول أوربا، وشارك في الحملة على اسبانيا، سنة 1823م، عندما كان مجندا في الجيش الفرنسي، الذي خرج منه بعد نهاية الحرب مع اسبانيا. عين سنة 1825م محافظا ملكيا للمسرح الفرنسي، كما تحصل على الجائزة الذهبية في الفن التشكيلي، سنة1827م. كما سمي، سنة 1838م، مفتشا عاما للفنون الجميلة. كلفه الملك الفرنسي، شارل العاشر، بمشروع نقل

بعض الآثار المصرية من الأقصر إلى فرنسا، وقد نجح بعد مفاوضات عسيرة مع الانجليز، في نقل الكثير من الآثار المصرية، بداية من 23ديسمير 1833م [57].وقد ألف عدة كتب منها: **الرحلة الرائعة إلى اسبانيا والبرتغال وإلى الساحل الإفريقي من طنجة إلى تطوان.** وقد صدر سنة 1832م [58].

5.هنري دو كاستري (Henry de Castries)

مقدم في الجيش الفرنسي، ولد سنة1850م وتوفي سنة1927م. قام بعمل ضخم بجمع مجموعة من الوثائق التي تتعلق بتاريخ المغرب، في مختلف مراكز الأرشيف الأوربية، وقد أصدرها تحت عنوان: 5.**مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب(1530–1845م)**. وقد نشر عدةَ مجلدات من السلسلة الأولى عن الدولة السعدية، سنة1905م، حيث بلغ عدد المجلدات التي نشرها حتى وفاته، سنة1927م، ثلاثة عشر مجلدا من السلسلة الأولى. ثم تابع بعده بيير دوسونيفال، وفيليب دوكوسي، وشانتان دولان فيرون نشر الوثائق المتعلقة بالدولتين السعدية والفيلالية، فبلغ مجموع المجلدات المتعلقة بالدولة السعدية وحدها واحد وعشرين مجلدا [59].

وقد كتب عدة مقالات في مجلة هسبيرس منها: **سادة المغرب السبعة، الأشراف السعديون، فتح المنصور للسودان، رحلة هولندي إلى المغرب [60].**

6.بوريللي جاك (Bourrilly.J)

من الموظفين الفرنسيين في المغرب. كتب عن الطائفة اليهودية في المغرب كتاب **إعادة تنظيم المحاكم اليهودية**. صدر في باريس 1932م[61].

7.طورنبرج كارل جون (Tornberg Carl Johan)

مستشرق سويدي، ولد سنة1807م، وتوفي سنة1877م. تخرج من جامعة لوند دكتورا في الفلسفة سنة1833م، ومجازا بالأدب العربي سنة1835م. يُعد من أعلام المستشرقين لما خلف من ترجمات ومنشورات وتحقيقات في الأدب العربي. منها: نشره لكتاب **الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس** لابن أبي زرع، سنة1843م، ثم **ترجمته إلى اللاتينية**، سنة1846م[62].

8.كور.أندريه (Cour André)

مستشرق فرنسي، توفي عام 1945م، أستاذ كرسي العربية في قسنطينة (63). أصدر عدة كتب و مقالات في تاريخ المغرب، منها: كتاب **استقرار الدولتين السعدية والعلوية بالمغرب وذكر ما كان بينهما وبين الدولة التركية في الجزائر من خلافات**. الذي نشر بالجزائر سنة1904م. ويعد من بواكير الدراسات المتعلقة الدولتين الشريفتين المذكورتين، والتي اعتمد فيها كور على مصادر أوربية ومصادر مغربية عربية [64].

9.مرسييه أرنيست.(MERCIER Ernest)

مؤرخ فرنسي، ولد سنة 1840م، وتوفي سنة 1907م. عمل مترجما عسكريا سنة1865م، ثم مترجما قضائيا في تنس، أين كان قائدا للجيش أثناء ثورة 1871م. عين رئيسا لبلدية قسنطينة مرتين، سنة 1883م، وسنة1896م[65].

اهتم بدراسة تاريخ منطقة المغرب، فألف عدة كتب منها: **تاريخ قسنطينة، وتاريخ باربارية**، الذي هو عبارة عن استعراض لتاريخ دول شمال افريقيا: المغرب، الجزائر، تونس، وطرابلس، من أقدم العصور حتى الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م. وقد صدر هذا الكتاب في باريس، سنة 1868م.

5. هوداس أوكتاف (Houdas Octave)

هو مستشرق فرنسي(1840-1916م)، أستاذ العربية في الجزائر، فمفتش عام فيها. وقد صنف عدة كتب لتدريس العربية، ثم انصرف إلى دراسة المغرب الأقصى والتاريخ الحديث للمغرب. فاستدعي أستاذاً للعامية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس وعضواً في مجلس المعارف العامة، وفي اللجنة التاريخية بقسم تاريخ المغرب.

ترك ثروة هائلة من الأعمال عن تاريخ المغرب؛ حيث قام بنشر وترجمة الكثير من المصادر العربية، منها:

- موجز من كتاب **ترجمان المغرب** لأبي القاسم الزياني، **متنا وترجمة فرنسية**، سنة1884م.

- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**. للأفراني، **متنا وترجمة فرنسية**، سنة1888م.

- **تاريخ السودان** للتمبكتي، **متنا وترجمة فرنسية**، سنة1901م. بمساعدة بنوا(Benoit).

- **سلالة الأشراف في المغرب ومزاحمتهم الأتراك على ولاية الجزائر**(1509-1830م)، وهو عبارة عن بحث نشره في المجلة الآسيوية [66].

6. بومييه أوغوست (Beaumier Auguste)

فرنسي من مرسيليا، وفارس في فرقة التشريفات. توفي سنة1870م، عمل قنصلا لبلده في الرباط وسلا، من سنة 1853-1865م؛ حيث ترجم كتاب **الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس** لابن أبي زرع للفرنسية سنة1860م بباريس [67].

7.شارل فيرو (Charles Féraud)

ولد بمدينة نيس، جنوب فرنسا، في 5فبراير سنة 1829م، قدم إلى الجزائر سنة1845م، وعين كموظف صغير بنظارة الداخلية. ثم لم يلبث أن ضُمّ، سنة 1850م، إلى هيئة المترجمين العسكريين، حيث أصبح الترجمانَ الرئيسي لدوائر الشرطة في مدينة الجزائر. وبعد أربع سنوات من ذلك التحق بخاصة الجنرال ماكمهون، الحاكم العسكري لقضاء قسنطينة آنذاك، فظل في وظيفته حتى سنة1872م، ثم عين ترجمانا رسميا للحكومة الفرنسية بالجزائر لشدة إتقانه للعربية[68].

وفي 5نوفمبر1878م دخل السلك الدبلوماسي، حيث تم تعيينه قنصلا لفرنسا، خلفا للقنصل ديلابورت(De la porte) الذي تقرر نقله إلى بيروت. ثم ترقى فيرو إلى درجة قنصل عام ابتداءً من سنة1881م، و ظل في منصبه بليبيا حتى 31 ديسمبر 1884م، حيث نقل إلى مدينة طنجة بالمغرب الأقصى بدرجة وزير مفوض. وظل ممثلا لفرنسا هناك حتى وفاته سنة 1888م[69].

أما عن حياته العلمية، فيقول من تكلموا عن سيرته بأنه كان واسع الثقافة، وأنه كان عَلَما دؤوبا على البحث والتنقيب والمطالعة، ولهذا فقد رجحوا أن يكون من طراز الكتاب العصاميين الذين كَوّنوا أنفسهم بأنفسهم [70].

وانصبت اهتماماته على كل ما يخص البلدان العربية وشمال إفريقيا، وقد أهلته اهتماماته بتاريخ الجزائر ودراسة آثارها الأركيولوجية لأن يصبح رئيساً للجمعية التاريخية الجزائرية قبل أن يلتحق بليبيا بعامين.

وقد أفاده اتقانه للغات العربية والتركية والبربرية في القدرة على الاطلاع على الكتب والوثائق والمخطوطات الاسلامية، لهذا فقد تنوع إنتاجه الفكري؛ بحيث ترك لنا جملة من المؤلفات منها:

-كتابه الضخم: **تاريخ مدن بجاية، جيجل، سطيف، بونة، القالة، بوسعادة، برج بوعريريج، عين الدفلة، تبسة، سكيكدة**؛ حيث خص كل مدينة بجزء خاص.

- **الحوليات الليبية.**
- **ترجمة تاريخ العدواني.**
- **تاريخ قبائل عمالة قسنطينة.**
- **منوغرافيا قصر بايات قسنطينة.**
- **تجارة العبيد السودان في جنوب الجزائر.**

– **أشراف المغرب**. حيث تحدث فيه عن تاريخ ملوك المغرب الشرفاء [71].

خاتمة:

وخلاصة القول أنّ المغربَ الأقصى قد أخذ حظه الوافر من المصادر التاريخية الغربية، مثلما هو الشأن مع المصادر المحلية، وهذا ما أماط اللثام عن كثير من المحطات الهامة في تاريخه الحديث. ورغم تنوع هذه المصادر وثراء مادتها، إلا أنّ الباحثَ يجب أن يتنبه إلى أنها تعبر عن نظرة الآخر إلى المغرب. وإن كانت هذه المصادر تعتبر من الوثائق التي لا غنى عنها في التاريخ المغربي الحديث، إلا أنه يجب أن تؤخذ بحذر ولا بد من مقارنتها بالمصادر المحلية لتحري المصداقية والمطابقة للواقع.

❖ هوامش البحث

(1) معناها التزام الكاتب بفكرة أو مذهب أو توجه سياسي معين، والانتصار له وتسخير كتاباته وأدبه للدعوة إليه.

(2) ليفي بروفنصال: مؤرخو الشرفاء، تع : عبد القادر الخلاّدي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة و النشر، الرباط، 1397/ 1977، ص18.

(3) M. Haofer: **Nouvelle Biographie Générale**, 46 Tomes, Fermin Dido frères fils et C^{ie} Editeurs, Paris, 1860, T31, p432.

(4) Jean Gay: **Bibliographie des ouvrages relatives à l'Afrique et à l'Arabie**, chez maisonneuve et C^{ie}, Paris, 1875, p24.

(5) Guy Turbet-Delof: **Bibliographie Critique du Maghreb dans la litterature** française 1532-1715, S.N.E.D, Alger, 1976, p35.

(6) Jean Gay: op.cit, p34.

(7) M. Haofer: op.cit, T33, p866.

(8) Jean Gay: op.cit, p35.

(9) دييقو دي طوريس: **تاريخ الشرفاء**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة المدارس للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، 1988، ص06.

(10) Jean Gay: op.cit, p90.

(11) Turbet-Delof: op.cit, p162.

(12) M. Haofer: op.cit, T45, p127.

(13) Turbet-Delof: op.cit, p36.

(14) M. Haofer: op.cit, T23, p50.

(15) P.Dan: "**Les Ullistres Captifs**", In, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, V27, 1883, p205.

(16) M. Haofer: op.cit, T12, p639.

(17) Jean Gay: op.cit, p87.

(18) M. Haofer: op.cit, T34, p957.

(19) Jean Gay: op.cit, p44.

(20) M. Haofer: op.cit, T41, p329.

(21) Jean Gay: op.cit, p90.

(22) Ibid, p86.

(23) Turbet-Delof: op.cit, p115.

(24) Jean Gay: op.cit, p86.

(25) Turbet-Delof: op.cit, p215.

(26) Jean Gay: op.cit, p87.

(27) M. Haofer: op.cit, T36, p761.

(28) Jean Gay: op.cit, p39.

(29) M. Haofer: op.cit, T40, p94.

(30) Turbet-Delof: op.cit, p250.

(31) Jean Gay: op.cit, p89.

(32) Ibid, p91.

(33) Ibidem .

(34) ينبغي التنبيه إلى أن عائلة بيتي دو لاكروا تتكون من الجد والابن والحفيد، توارثوا كلهم وظيفة ترجمان الملك في البلاط الفرنسي. كما أنهم اهتموا بالتراث الشرقي، حيث قاموا بترجمة العديد من المؤلفات العربية والفارسية والتركية إلى اللغة الفرنسية. وهم: - الجد: بيتي فرانسوا(Petis François)(1622-1695م).

- الابن: بيتي دي لاكروا فرانسوا(Petis de La Croix François)(1653-1713م).

- الحفيد: بيتي دي لاكروا اسكندر(Petis de La Croix Alexandre)(1698-1751م).

(35) M. Haofer: op.cit, T39, p704.

(36) J. Caillé: "Auguste Beaumier", In, Revue Africaine, V96, 1952, p231, note 1.

(37) A. Jal: Dictionnaire critique de biographie et d'histoire, Henri Plan Imprimeur-Editeur, Paris, 1867, p301.

(38) R.P.Pierre Danne: Histoire de Barbarie et de ses corsaires, Pierre Rocolet Imprimeur et Libraire ordinaire de Roi, Paris, 1646, pp224-234.

(39) Jean Gay: op.cit, p86.

(40) M. Haofer: op.cit, T07, p227.

(41) Jean Gay: op.cit, p86.

(42) Ibid, p87.

(43) Turbet-Delof: op.cit, p273.

(44) M. Haofer: op.cit, T10, p188.

(45) Jean Gay: op.cit, p87.

(46) M. Haofer: op.cit, T29, p394.

(47) Jean Gay: op.cit, p43.

(48) Ibid, p45.

(49) Ibid, p88.

(50) يحيى مراد: **معجم أسماء المستشرقين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص111.

(51) Jean Gay: op.cit, p39.

(52) هناك من يعتبر القرن التاسع عشر من الفترة المعاصرة وليس الحديثة، وقد ضممته لقرون العصر الحديث وذلك لعدة اعتبارات منها: تشابه الظروف السياسية للمغرب في هذا القرن مع القرون السابقة، وأيضا تشابه كُتاب هذا القرن مع نظرائهم في قرون الفترة الحديثة من حيث الأسلوب ونظرتهم للمغرب، إضافة إلى أنّ أغلبَ مواضيع تلك الكتابات تتحدث عن تاريخ المغرب في العصر الحديث.

(53) Ellie de La Primaudaie: "Commerce et navigation de l'Algérie", In, Revue Algérienne et Coloniale, Juin1860, p473.

(54) Jean Gay: op.cit, p87.

(55) M. Haofer: op.cit, T37, p812.

(56) Jean Gay: op.cit, p91.

(57) M. Haofer: op.cit, T44, p944.

(58) Jean Gay: op.cit, p91.

(59) عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن10هـ/ 16م، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1427/ 2006، ص8.

(60) نجيب العقيقي: المستشرقون، 3 أجزاء, دار المعارف، القاهرة، 1980، ج1، ص210.

(61) نفسه، ج1، ص222.

(62) يحيى مراد: مرجع سبق ذكره، ص233.

(63) نجيب العقيقي: مرجع سبق ذكره ، ج1، ص249.

(64) ليفي بروفنصال: مرجع سبق ذكره، ص20.

(65) Alain Messaoud: "Renseigner, enseigner. Les interprètes militaires et la constitution d'un premier corpus savant « algérien » (1830-1870)", In, Revue d'histoire du XIXe siècle, N:41, 2010, URL: http://rh19.revues.org/index4049.html. Consulté le 18 juin 2011, 00:15.

(66) نجيب العقيقي: المرجع السابق، ج1، ص202.

(67) J. Caillé: "Auguste Beaumier", In, Revue Africaine, V96, 1952, p231.

(68) شارل فيرو: الحوليات الليبية، تر:محمد عبد القادر الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1994، ص14.

(69) L. Paysant: "Un président de la Société Historique Algérienne, Ch.Feraud", In, Revue Africaine, 1911,V55, p5.

(70) شارل فيرو: مرجع سبق ذكره، ص15.

(71) L. Paysant: op.cit, p15.